

الحلم الأمريكى وانهباء الإمبراطورية

د . محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

تذكر كتب التاريخ أن كريستوفر كولمبس فى سعيه لاكتشاف العالم الجديد إنما كان يسعى للوصول إلى الهند وأن هدف رحلاته الاستكشافية الحصول على الذهب لتمويل المزيد من الحملات الصليبية ضد المسلمين فى القدس . ولم يدرك أن ما اكتشفه هو قارة جديدة تماما . ثم تدافعت موجات الهجرة بحثا عن الذهب وفاض ذهب كاليفورنيا فى أيدي هؤلاء وفاض المال إلى أوروبا تبعا لذلك . وواكب ذلك موجة الاستعمار الحديث الذى سيطر على معظم العالم بما فيه الشرق الأوسط كله . على أن تدافع المهاجرين إلى أمريكا ترتب عليه إبادة معظم سكانها الأصليين ويختلف تقدير عددهم من عدة ملايين إلى 50 مليون أو أكثر تم إبادتهم ليقوم الحلم الأمريكى American Dream . ادعوا أن هذه الأرض هى أرض الموعد Promised Land تماما كأرض فلسطين وأن الله منح هذه الأرض للمهاجرين الجدد كما منح فلسطين من قبل لبنى إسرائيل . ومن هنا بدأت التوأمة بين المشروع الأمريكى والمشروع الصهيونى . ورفعت أمريكا شعار أنها أرض الفرص Land of Opportunities يقصدها كل المطحونين الطموحين التواقين للمال فى العالم . فأصبحت خليطا من أمم شتى تماما كما هى إسرائيل خليطا من أمم الأرض . عقيدة أمريكا هى المال الذى يعطيها القوة والتفوق عن طريق العمل المضنى والشاق لأنه من لا يعمل فإنه يهلك بلا رحمة ولا شفقة ولا ضمان اجتماعى فى مجتمع تنافسى نشأ على قطع الرقاب Cut Throat . التنافس عنيف والفرص متوفرة لمن يطلبها ويسعى إليها سعيا . لا مكان للكسالى ولا للمتراخين والمتواكلين . الكل يعمل والكل يتسابق . بنيت أمريكا على قاعدة الثورة الصناعية فى أوروبا وأدركت أنه بالعلم وحده يمكن أن تقوى . فركزت اهتمامها بالعلم والعلماء وأنشأت الجامعات العريقة فيها ومراكز الأبحاث . وكثرت الاختراعات الحديثة حتى أن أديسون كان له ألف اختراع . ولا توجد مدينة فى أمريكا تخلو من متاحف ومكتبات وجامعات ومعاهد ومراكز أبحاث . ولكن ظلت أمريكا منغلقة على نفسها حتى الحرب العالمية الأولى والثانية . وبعدها اشترأبت أمريكا كقوة عالمية جاءت لتترث القوى الاستعمارية القديمة بريطانيا وفرنسا . أمريكا هى الدولة الوحيدة فى العالم التى استخدمت السلاح النووى ضد اليابان وأثبتت بذلك أنه لا رادع لشراستها فهى لن تتورع عن إبادة الآخر من أجل مصالحها . ومع كل هذه القوة انغمست أمريكا فى حربين فاشلتين واحدة فى كوريا والأخرى فى فيتنام . وخسرت أمريكا مع جبروتها هاتين الحربين . فانغلقت أمريكا على نفسها مرة أخرى وانسحبت من الساحة . إلى أن جاءت أحداث حرب الخليج واستعرض الجيش الأمريكى ما وصل إليه من قوة بعد

مأساة فيتنام ليبدد أمام شعبه وأمام العالم عقدة فيتنام والانكفاء الذى حدث بعد الانسحاب المهين من فيتنام . ولكنه استعرض هذه القوة ضد من ؟ ضد جيش من العالم الثالث لم يقو أن يقف أمامها . وانهار الاتحاد السوفيتى بدون طلقة رصاصة واحدة تزامنا مع حرب الخليج . ثم وقعت أحداث الحادى عشر من سبتمبر . وجن جنون أمريكا وخرجت مرة أخرى تفرغ شراستها على المسلمين واعتبرتهم جميعا فى سلة واحدة مسئولين عما حدث . كانت أمريكا واضحة منذ البداية . مصلحة إسرائيل فوق كل اعتبار ولا مكان للعرب على أجندتها . ومع ذلك اعتبرها العرب الحكم بينهم وبين إسرائيل . وبلغ الضعف العربى مداه مع غزو أمريكا لأفغانستان والعراق وعريدة إسرائيل فى المنطقة . ولكن ما لم تقدره أمريكا فى حساباتها أن هذه الأمة لم تمت بل كانت نائمة وهى الآن توقظها . فإذا بأمريكا تنغرس فى وحل الرافدين ويسفك دم جنودها فى جبال أفغانستان . ثم هاهى المقاومة اللبنانية تصفع إسرائيل صفعه لم تكن فى الحسبان . ومع ازدياد عدد القتلى من الجنود الأمريكان على كل الجبهات تصاعدت الأصوات داخل أمريكا طالبة مراجعة الموقف . شبح فيتنام يطل من جديد . والدعوة للانغلاق تعود . هذه هى بداية النهاية للطموح الأمريكى للسيطرة على العالم . والذى يقف أمامهم هم العرب والمسلمون على ضعفهم وتفرقهم فما بالهم إذا اتحدوا وقويت شوكتهم ؟ ستتسارع الأحداث من الآن فصاعدا . وستحدث المعجزة التى لم يتصورها أحد . وهى أن العصر القادم هو عصر التقدم الإسلامى العلمى الذى يأخذ بالأسباب ويتخذ من الدين مقومات التقدم لا التواكل ، العلم لا الشعوذة ، التخطيط لا الفوضى ، الاستتارة لا الانغلاق ، الذكاء لا الجهالة ، المرونة لا الجمود ، الانفتاح لا ضيق الأفق ، التوحد لا الانقسام ، وهذا هو أكبر خطر على إسرائيل تعمل له ألف حساب . وهو ذات الخطر الذى يؤرق المحافظين الجدد الذين يحكمون فى البيت الأبيض والذى بدأ العد التنازلى لحكمهم بعد الانتخابات الأخيرة . نعم سنشهد السنوات القادمة انحسار الحلم الإمبراطورى الأمريكى وصعود نجم العرب والمسلمين الذين سيدركون فى النهاية أنهم أقوى بما لديهم من مصادر ثروة وعقول أبناءهم والأهم بإيمانهم الصادق بالله وبوعده لرفع الظلم عنهم ونشر العدل على الأرض قبل قيام الساعة .